مقالة في التربية

لحضرة الكاتب الفاضل عبد الله افندي المراش نزيل مرسيليا

(تابع لما قبل)

المطلب الثاني في المربين

فصلٌ

في الابوين

كل مَن طالع ما وصل الينا من كتب التعليم العربية جاز لهُ ان يجزم بأن مصنّفيها كانوا عُزّابًا وانهم انما صنفوها لتعليم عُزّابٍ مثلهم لانهُ لا يكاد يرى فيها شيئًا من امر تعليم الآباء والامّهات فنّ تربية الاولاد مع ان هذا الفنّ من اهمّ ما يجب عليهم تعليمهُ وتعلّمهُ . ونحن اذا تأملنا في ما قيل لنا عن سعة معارف الاقدمين من مصنّفي العرب وانهم لم يتركوا علمًا ولا فنًّا معروفًا في ايامهم الاّ صنّفوا فيهِ مصنفاتٍ عديدة وجدنا اغفالهم هذا الفنّ عجيبًا

واعجب منهُ ان نرى الناس في ايامنا هذهِ مع شدّة انصبابهم وهم شبّانٌ على تعلم لغات الافرنج وتهافتهم على قرآءة ما فيها من القصص الملفّقة وتعريب اكثرها لا يطالعون ولا يعرّبون شيئًا يفيدهم اذا صاروا آباء وهذا مع ان حياة الاولاد الذين عساهم ان يولدوا لهم او موتهم ورشادهم او غيّهم كل ذلك موقوفٌ على كيفية تربيتهم

فلو ان احدًا من الناس اقدم مثلاً على تعاطي التجارة وهو لا يدري من علم الحساب ومسك الدفاتر شيئًا لاستحمقناهُ وترقّبنا ان تكون عاقبة تجارتهِ وبالاً عليهِ . ولو رأينا جارنا الحجّام قد نصب نفسهُ طبيبًا او جرّاحًا من قبل ان يتعلّم الطبّ او التشريح لتعجّبنا من جرأتهِ ورثينا لحال المرضى الذين يُعمِل فيهم

مباضعهُ . لكننا ان رأينا اباً ينصب نفسهُ لتربية اولادهِ ويسنّ سنناً ويشترع شرائع تجري احكامها على ابدانهم واذهانهم واخلاقهم وهو لا يدري شيئاً من امر قوانين الصحة وتخريج العقل وتقويم السيرة لم نتعجب من تهوّرهِ ولا رثينا لحال اولادهِ المساكين الذين اقدم على تربيتهم وهو على هذهِ الحال

ألسنا نرى كل يوم ان عدداً وافراً من الاولاد يموتون بسبب جهل والديهم بأبسط قوانين الصحة وان الذين ينجون من الموت منهم فانما يعيشون مساقيم ضعفاء البنية عاجزين عن احتمال أيسر المشاقّ محرومين التمتع بملء الهناء قاصرين عن ادراك كثيرٍ من الاوطار والاماني التي يدركها اترابهم وكانوا جديرين بادراكها كغيرهم لو لا ما فاتهم من قوّتهم وصحة ابدانهم

وان رأى الابوان ان ولدهما قبيحٌ او مريضٌ قالا هذا رزءٌ ابتُلينا بهِ ونسباهُ الى سوء بختهما وكان الوجه ان ينسباهُ الى سوء تدبيرهما لانهُ ما من معلول طبيعيّ الّا ولهُ علةٌ طبيعيةٌ وعلة سقم ولدهما في اغلب الامر جهلهما بتربيتهِ . ولو قال لهما الطبيب ان وحيدهما قد هلك لعدم معرفتهما بمداراة صحتهِ فأيّة تعزيةٍ لهما في ان الاب منهما قد قرأ مثلاً كتاب الاغاني من الدفّة الى الدفّة وفي ان الامّ منهما قد تفرنست على جهل منها بالفرنسوية الحقيقية

نعم ان بعض امراض الاولاد موروثةٌ كبعض مناقبهم وشوائبهم فلا يمكن شفاؤها بمجرّد المداراة والتمريض الّا أن اكثرها مسببٌ عن جهل ابوَي الولد بتربية بدنهِ فهما لهذه العلّة مُطالَبان بالتباعة لانهما لما اقترنا بعقد الزواج تعاهدا بالتضمين حتى لا أقول بالتصريح ان يحسِنا القيام على تربية مَن عساهُ ان يولد لهما من الاولاد لكنهما تقاعدا او كسلا او عجزا عن تعلُّم ما من شأنهِ ان يمكّنهما من الوفاء بما ضمنا . فجهلهما بابسط قوانين التربية واصولها ذنبٌ لا يُغتفَر

اذ عنهُ تنشأ اكثر اوامرهما ونواهيهما وسننهما وشرائعهما السخيفة التي تهدم يوماً فيوماً وساعةً فساعةً بنية اولادهما بل اولاد اولادهما ايضاً

هذا من قبيل تربية البدن واما تربية الذهن اعني اعانة الطبيعة على شحذهِ وارهافهِ فانت خبيرٌ بان ذلك لا يكون كيفما جرى واتفق بل بمقتضى نواميس طبيعية لا ينبغي ان يجهل الابوان مبادئها على الاقلّ لان كل والدٍ يجهلها لا يصلح لاعانة الطبيعة على اتمام فعلها بل كثيرًا ما يعاندها . وسيجيء بعد هذا ان الولد يخرج ذهنهُ اول ما يخرج بما يعيهِ شيئاً فشيئاً من تلقاء نفسهِ وتنبه لهُ فطنتهُ عفواً من الخواطر البسيطة والمعاني المفردة حتى اذا اجتمع لهُ طائفةٌ متجانسةٌ منها في شيء بعينهِ تذرّع بها الى معرفة ذلك الشيء بمقدار ما يستطيع . فمن واجبات ابويهِ اذًا ان يسهلا لذهنهِ تحصيل تلك الخواطر والمعاني وذلك بان يُعِدّا لهُ يوماً فيوماً من الاشياء والامور التي تقع تحت حواسّهِ ما تنبّه لهُ فطنتهُ ويفهم بعض امرهِ بسهولةٍ حتى اذا ادرك شيئاً من كنههِ بالخبرة والمعاينة والملابسة بنفسهِ انتقش معناهُ في لوح ذهنهِ . فان كان الابوان نفسهما يجهلانِ كيف تولّد المعاني المفردة في ذهن ولدهما وكيف تخطر الخواطر البسيطة في جنانهِ اول ما تخطر لم يصلحا لاعانة الطبيعة على تنوير بصيرتهِ

اما جهل الابوين بما يتعلق بتقويم سيرة الولد وتهذيب اخلاقهِ فلا ينقص عن جهلهما بما يتعلق بتربية بدنهِ وانارة ذهنهِ حتى لا نقول انهُ يزيد عليهِ . انظر الى هذين الوالدين الحديثي السنّ فان الاب منهما كان قبل اقترانهِ بالامّ يتعلّم من قواعد العلوم الفلسفيّة ما لا يكاد يفهمهُ او ما لا يجديهِ نفعاً كبيرًا ان فهمهُ لكنهُ لم يتعلم شيئاً مما عساهُ اذا تزوّج وولد لهُ ولدٌ ان يقفهُ على ما يجب عليهِ فعلهُ في تقويم سيرتهِ وتهذيب اخلاقهِ . ثم لما خرج من المدرسة قضى

المدة التي مرّت بين خروجهِ منهـا وزواجهِ في اللهو والتردد على الملاعب واهمل كل شيء يقفهُ على واجبات الابوّة. وكذلك الامّ منهما فانها كانت قبل زواجهـا تتعلّم التطريز ولغات الاعاجم ثم قضت المدة التي مضت بين خروجها من المدرسة وزواجها في زيارة اترابها او العزف على البيانو او تطريز ما لا حاجة بها اليهِ او قرآءة القصص الملفّقة بلغات الافرنج بحيث لا تغادر منها سوى القصص التي موضوعها التربية لكنّها لم تلتفت اقل التفاتٍ الى واجبات الامومة التي هي صائرةٌ اليها ولم تُهيّئ لذلك نفسها ولم يُهيّئها لهُ احدٌ فلمّا اقترنت ببعلها ورزقها الله اولادًا وشعرا بما أُلقي على كاهليهما من عبء تربيتهم

عيًّا بأمرهم كما عيّت ببيضتها النعامه

فحارا في ذلك وطاش لبّهما منهُ لقلّة استعدادهما لهُ وأقبلا يتعرّضان لامورٍ لا يليق ان يتعرّض لها سوى الماهر الخبير وبأمرانِ وبنهيانِ بما ليس من فنهما حتى يُكسبا الولد بذلك من العُرام والشكاسة ما لا يلبث آخر الامر ان يجعلهما مثلهُ في التبرّم وسوء الخُلق الى حدٍّ يذهب بما كان لهما في قلب الولد من المحبة. ثم انهما كثيرًا ما يجرّانهِ على افعالٍ يزيّنها لهما الهوى او الجهل حتى يزعما انها حسنة من غير ان يعنيا انفسهما بالبحث عن الاسباب التي حدتهما الى هذا الزعم وانما يكفيهما ان يكون الفعل مطابقًا في الظاهر لما يعتقدانِ انهُ حسنٌ سواءٌ كان في الواقع كذلك ام لم يكن. وهكذا يولّدانِ في قلب ولدهما الرياء او الخسّة او الأثرة مكان الخلوص والاستقامة وظلف النفس. وربما امراهُ بالصدق في اقواله ثم يعدانهِ ولا يُنجزان او يوعدانهِ ولا يفعلان فيجرّانهِ بذلك على الاخلاف والنكث والكذب ويصيرانِ لهُ فيها قدوةً. وبأمرانهِ بطول الاناة والحلم والتمالك ثم يسخطان عليهِ لاجل هنّاتٍ وتُرّهاتٍ لعلهـا مما لا يستوجب

السخط فيدرّبانهِ بذلك على الغضب وشراسة الاخلاق

ولو لا أنّ في جبلة الاولاد ما يردّهم في الغالب الى النشوْ على ما فيهم من السجايا الحسنة الموروثة لكانت تربية والديهم اياهم آفةً على اخلاقهم وايّ آفة ستأتي البقية

الزجاج

الزُّجاج جوهرٌ صُلبٌ شفّافٌ قَصِم اي سهل الانكسار يرنُّ اذا نُقِر عليه ويُصهَر بالحرارة القوية القطعة منهُ زُجاجة وقد تُطلق على الكأس قال عنترة

ولقد شربتُ من المدامة بعد ما ركدَ الهواجرُ بالمَشُوف المُعلَمِ
بزُجاجةٍ صفراءَ ذات أسرّةٍ قُرِنَت بأزهر في الشمال مُفدَّمِ

وفي سورة النور « مَثَلُ نورهِ كمشكاةٍ فيها مصباحٌ المصباح في زجاجة » اي في قنديل من الزجاج . ويقال لصانعهِ زَجّاج وهي صيغة يُقصَد بها النسبة لا المبالغة بمنزلة العطّار والخزّاف ونحوهما . والزُّجاج مركبٌ من الرمل والقلي والكلس او المَرْتك (وهو اكسيد الرصاص) فاذا مزجت هذه المواد وصهرت تكونت كتلةً ليس لهـا شكلٌ خصوصي من خصائصها ان لا تذوب بالماء ولا بالحوامض الاّ الحامض الفلور هيدريك[1] . ومنـافع الزجاج وخواصهُ تختلف باختلاف المواد التي يُصنع منها فزجاج القوارير يصنع من الرمل الحديدي والرماد او من القلي والصلصال وكِسَر القوارير نفسها . وزجاج النوافذ يصنع من الرمل

---

(١) هو غاز خانق قوى الرائحـة سام جداً يستعمل فى الصنـاعة لحفر الزجاج وذلك بان تكسى الزجاجة التى يراد حفرها شمعاً ثم ينقش عليهـا الرسم المطلوب وتعرض لبخار هذا الحامض فيظهر الرسم . وهو انمـا يحفظ فى آنية من رصاص او كوتابرخا